المجلد: 16 العدد: 3 الجزء: 2 في (2024 /7/1) Lark Journal
وقائع المؤتمر العلمي الثامن لكلية الاداب – جامعة واسط، بالتعاون مع مجلة لارك تحت شعار (المسارات المعرفية للعلوم الانسانية والاجتماعية الواقع وآفاق الريادة، المنعقد بتاريخ (2024/4/23)

ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Shahla Riyad Jabbar
University: Wasit University
College: College Of Arts

Dr. Amal Hassan Taher
University: Wasit University
College: College Of Arts
Email:
aaldelphi@uowasit.edu.iq

Keywords:
association, poetic image, introductions to Mu'allaqat

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 6 Mar 2024
Accepted 6 Jun 2024
Available online 1 Jul 2024

Association and its psychological impact on the images of poets (Examples of pre-Islamic poetry)

A B S T R A C T

The research deals with the study of sad psychological states in which images collide and the poet struggles with them to create harmony between two worlds, the first of which is his psychological (inner) world, and the second is reality (the external world), according to an urgent need that drives him to do so. The feeling remains ambiguous in the soul and cannot be reached. Only after it is formed into images that follow one another, to become expressive of his thoughts and feelings, and the embodiment of the poetic experience. Accordingly, the association of the image becomes the basis on which the poem is based, and its artistic essence. The poet looks at the images that represent his thoughts and feelings, in response to the mutual interaction between ideas, in their experimental dimension, and vision in its sensory and visual meaning and the combination of the mental and emotional responses, as it is based on verbal use and the connotations of the images. The pictorial association was embodied in the most prominent themes of the pre-Islamic poem that refers to Sadness in our research is like the collapse of the image of ruins, the collapse of the image of gray hair, and the collapse of the image of death

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3618

التداعي واثره النفسي في صور الشعراء (نماذج من الشعر الجاهلي)

م.م شهلاء رياض جبار /جامعة واسط / كلية الاداب
أ.م.د أمل حسن طاهر /جامعة واسط / كلية الاداب

الخلاصة:

يتناول البحث دراسة الحالات النفسية الحزينة التي تتداعى فيها الصور و يصارعها الشاعر ليبث التناسق بين عالمين أولهما: عالمه النفسي (الداخلي), والثاني الواقع (العالم الخارجي), وفقًا لحاجة ملحة تدفعه دفعًا لذلك, فالشعور يظل مبهمًا في النفس, ولا يمكن الوصول اليه, إلا بعد أن يتشكل في صور يتبع بعضها بعضا , لتغدو معبرة عن أفكاره وأحاسيسه, وتجسيد التجربة الشعرية وعليه يغدو تداعي الصورة الأساس الذي تقوم عليه

القصيدة, وجوهرها الفني. فالشاعر ينظر الى الصور التي تمثل أفكاره ومشاعره, استجابةً للتفاعل المتبادل بين الأفكار, ببعدها التجريبي, والرؤية بمعناها الحسي والبصري والجمع بين الاستجابتين العقلية والانفعالية, إذ إنها قائمة على الاستعمال اللفظي وما تحمله دلالات الصور, وقد تجسد التداعي الصوري بأبرز موضوعات القصيدة الجاهلية التي تشير الى الحزن في بحثنا على النحو تداعي صورة الطلل ووتداعي صورة الشيب وتداعي صورة الموت.

الكلمات المفتاحية : (التداعي ، الصورة الشعرية ، مقدمات المعلقات)

تقديم:

يعد الشعر النشاط الأول للفكر الإنساني , و الشاعر قبل أنّ يصل الى مستوى التصوير تتوارد في ذهنه أفكارٌ متخيلة, يُدرك بها الأشياء بملكة ورؤية خاصة ليتمكن من الإفصاح عنها بشكل واضح؛ فالصور تتوارد بالنسبة اليه أفكارا مختلفة يصوغها برؤيته الخاصة. فيغدو للخيال علاقة كبيرة بالصورة من قدرة الشاعر على تكوين صورة ذهنية لأشياء تغيب عن تناول الحس, ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاعتماد على المدركات الحسية التي تتصل بزمان او مكان معين, بل تمتد فاعليتها الى مدى قدرة الشاعر على الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباعدة التي تخلق الانسجام والوحدة, من طريق القدرة على وجود التوافق والتناغم بين العناصر المتنافرة والمتباعدة في النص الشعري.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

التداعي في صورة الطلل:

تُعدّ صورة الطلل من الصور التي تناولها الكثير من شعراء العصر الجاهلي في مطالع قصائدهم, لما فيها من آثار تهيّج لواعج الشوق والحنين الى الديار الخربة وذكريات الشوق والغرام , إذ تولد هذه الذكريات طابع الحزن والألم في نفس الشاعر, فيبعد الحبيب عن حبيبته, أو عن دياره فيزداد شوقًا اليها, ولا يبقى له من الذكريات إلا ديارها مرابعها ,ويقف الشاعر فيها متذكرًا الحبيبة ومنازلها المهدمة , وكأنه يغيب عن وعيه أو يعيش حلمًا من الاحلام التي يعيد بها ذكريات الماضي التي تتداعى في ذهنه وهي لا تزال تحتفظ بالماضي, ولا يبقى منها إلا الهجر والفراق(ينظر: غانم: 1425ه: , 564-565).

كانت صورة الطلل تستدعي شعور الحزن عند شعراء الجاهلية, حين يقف الشاعر على الاطلال يتذكر أحبته ويبكي عليهم, وقد حظيت تلك الوقفات واللوحات الطللية باهتمام الكثير من الدارسين, فتشعبت فيها آراؤهم وتنوعت فيها تفسيراتهم, وقد اهتم الكثير من الشعراء ببقايا الديار واعتنوا بتصويرها ووصفها, اهتموا ببعض الديار وتركوا بعضها الاخر وعلى الرغم من قلتها كانوا يختارون بعضها ويهملون بعضها فيخصونه

بالتصوير والوصف, ونحن لسنا بصدد عرض الآراء التي قيلت في تفسير تلك اللوحات, بل نشير الى تداعي ذلك الشعور الحزين الذي رافق تلك اللوحات من الصور التي قدمها شعراء ذلك العصر .

إنّ وقوف الشاعر إزاء الطلل يُسهم في توارد الذكريات التي تمتزج بالبكاء والحزن, فيغدو "التداعي مشحونا بالكثير من تداعيات الصراع التي تعتمد على بدايات النصوص وما تقوم عليه من حالات شعورية " (طاهر ،2022، 126) وهذا ما نجده في قول امرئ القيس:

ألا عِـــــمْ صَبَاحًا أَيها الطَّلَلُ البَـــالِي وهَلْ يَـــعِمنْ مَنْ كانَ في العُصُر الخَالي

وهَـــــلْ يَـــعـــمَنْ إلاّ سَعِيدٌ مُخلّدٌ قليـــــلُ الهُمُومِ ما يَبـــيتُ بأوْجَالِ

وهَلْ يَـــعِمَنْ مَنْ كانَ أحْدَث عَهـْدِهِ ثَلَاثِيـــــــــنَ شَهْرًا في ثَلَاثَةِ أَحْوالِ

وتحسب لِسَلْمـــى لاَ تَزَالُ تَـــرَى طَلًا مِـــــنَ الوَحْشِ أوْ بَيْضًا بِمَيْثَاءَ مِحْلاَلِ

وتَحْسَبُ سَلْمَـــى لاَ تَزَالُ ترى كَعَهْدِنَا بِـــوَادِي الخُزَامي أوْ على رَأسِ أوْعَال

(امرئ القيس: 1990, 180).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ارتبطت رؤية الطلل الخرب ب(تداعي) الصور في ذهن امرئ القيس فتواردت صور ذهنية, وعمليات عقلية واحدة بعد الأخرى لوجود علاقة بينهما؛ لأن رؤية الطلل الخرب اشارت (الى التحول السلبي الذي يطرأ على المكان فيجعله مثالا للجدب والخواء فتنتفي معه صورة الحياة الانسانية)(طاهر،2023، 224)، فغدا مصدرًا للحزن والبكاء على الأيام الجميلة التي عاشها الشاعر في هذه الديار, وقد أصبحت خالية من الاهل والاحبة, بعد رحيل المرأة (سلمى), و حاول الشاعر ان يحقق نوعًا من التوازن بين الواقع وما يجول في النفس من خلال أثارت تلك التساؤلات في قوله (هل يعمن إلا سعيد, هل يعمن من كان في العصر الخالي, وهل يعمن من احدث عهد) , وللتكرار دلالات نفسية ترتبط بحالتين الحالة الأولى الواقع والحالة الثانية النفس المثقلة بالهموم فتمثلها الطلل الخرب والمتهدم , الذي له تأثير في نفسية الشاعر, إذ يتداعى ذكر المرأة مع الطلل لتحقيق حالة من الاندماج , فتواردت الأفكار في النص المرتبط برؤية الطلل ثم استدعاء المرأة وحزن الشاعر على رحيلها وخراب الديار.

وقد تداعت صور الحزن في طللية النابغة الذبياني, إذ قال :

يـــــــــا دارَ ميّة بِالعَلياءِ فالسـندِ أقـــوَتْ وطـــــــــال عليها سالف الأبدِ

وقفتُ فيـــــــها أصيْلانًا أسائلها عيّـــــــت جوابـــًا وَما بالربـــعِ مِنْ أحدِ

إلا الأواريَّ لأيـــــًا ما أ بيـــنها والنـــــؤى كَالحـــــوَض بالمظلومةِ الجلدِ

ردّت عليــه أقاصـــــــــــيه ولبّده ضَـــــرَب الوَلّيـــــدة بالمسحاة في الثأدِ

خلّت سبيـــــــل أتّى كان يحسبهُ ورفعتّـــــــهُ إلى السّجفيـــــنْ فالنّضَدِ

أمســت خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنـــــــى عليـــــها الــذي أخنى لَبَدِ

(الذبياني: 1996, 9).

بدء الشاعر صورة الطلل بتداعي الصور الأخرى التي ارتبطت بها, ليعكس حزن النفس إزاء واقعها, وأول صور التداعي التي نسبها الشاعر الى المكان وتبدله هي صور الدهر ،ففي قوله (الأصيل) تشير الى برهنة تشارفت فيها الشمس على الانطفاء, مما يوحي اليه بأقول الأشياء وقوله (مظلومة , وأمست , وأمسى), وقوله(واخنى عليها الذي اخنى على لبدِ), يشير الشاعر الى معاني الدمار والفناء الذي سببه الدهر, وقد أرتبط التداعي الحزين بالإشارة الى صور الأواريّ والنؤى, وصورة الصنيع للوليدة وكل هذه الصور تؤكد دلالات نفسية وارتباطية التي تشيرالى تمسك الشاعر الجاهلي بأرضه, إذ تؤكد قدرته الذهنية والعقلية, على متابعة الشكل الحقيقي لارتباط ذلك المكان, وتسلسل لهذه المعاني التي يخضعها الشاعر لعملية التذكر الوجداني ويستلهمها من الصور اللامعة, وجمع الأفكار المتلاحقة, فتداعي الصور في لوحة الطلل اعتمدعمليات عقلية وذهنية عكس حزن الشاعر على الحياة الضائعة والزمن الجميل في ظل النعمان.

ويأتي توارد الأمكنة في اللوحة الطللية دليل على الألفة والانسجام, بين الشاعر و ذلك المكان, ليغدو المكان مثيرًا وباعثًا للتعبير عن عمق مأساته ومنه طلليه بشامة بن الغدير, إذ قال :

لِـــمَنِ الدِّيَـــــارُ عَفَوْنَ بالجَزْعِ بالدَّوْمِ بَيْـــــــــــــــنَ بُحـــارَ فالشِّرعِ

دَرَســـــتْ وقد بَقِيَـــتْ على حِجَجٍ بَعـــــــــــدَ الأنيـــــس عَفَوْنَها سَبْعِ

إلاّ بَقايـــــا خَيْـــمَةٍ دَرَسَتْ دارَتْ قواعِـــدُها علـــــــــى الرَّبْـــعِ

فَوَقَفْـــتُ في دارِ الّجَمِيـــعِ وقد جالَـــــــتْ شُـــؤُون الرَّأسِ بالدَّمْـــــعِ

كـــــــعُرُوضِ فَيَّـــاضٍ على فَلَجٍ تَجْـــــرِي جَـــدَاوِلُهُ علـــــــى الزّرْعِ

فَـــــــوَقَفْتُ فيـــــــها كَيْ أسائِلَها غَـــــــوْجَ اللّبَانِ كَـــــمِطْرقِ الـــــــنّبْع (بشامة بن الغدير(د.ت): **407).**

يعكس لجوء الشاعر الى الاستفهام في بداية طلله (لمن الديار) حالة الأسى والألم التي تعانيها النفس إزاء ما حلَّ بالمكان من عفاء وتبدل, في قوله (عفون , درست), فقد أحدثت رؤية المكان تداعي صيغ ارتبطت بها, وذلك في قوله (بعد الأنيس عفونها سبعِ), فالاندثار قد شمل المكان كله مما أدى الى انعدام الحياة فيه, ولم يبق إلا الخيمة,إذ يكرر الشاعر الوقوف عند المكان الخرب الذي له دلالة على الحزن, واللوعة المتصاعدة والمتنامية, من خلال ذرف الدموع نتيجة تداعي الصور الحزينة التي لها تأثيرها في النفس, وقد استعمل الشاعر مفردات تدل على الاضطراب وانعدام الاستقرار، وذلك في صورة الماء والنهر الكبير الذي شبه به ذرف الدموع ليؤكد ارتباط التداعي بحزن الشاعر الحاد إزاء ذلك المكان, وبذا يصبح الدمع هو الوسيلة لاستجلاب الحياة تمامًا كما هو الحال في النهر الذي يروي الزرع, فيغدو مخضرًا, وعليه فإنّ الحزن يُعد عاملًا مباشراً في تداعي الصور التي قدمها الشاعر في لوحته الطللية،وقد وفق الشاعر من خلال اللجوء الى توالي الاحداث وترابط الصراعات في تقديمه للمعنى النفسي الذي أراد التعبير عنه(طاهر ،129،2022).

التداعي في صورة الشيب:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كان الشاعر في العصر الجاهلي يشعر بإحساس الزمن, وهذا الإحساس جعله يندفع إلى استيعاب الشباب والحماس اليه, وبما أن الشاعر كان يشعر في داخله شعورًا حزينًا, مما يجعله يمنح الزمن مقدارًا أكبر من الحرية, تلك الحرية التي تتمثل في إشباع الرغبات المكبوتة في نفسية الشاعر وتحقيق أهدافه (**ينظر: زيتوني :2001م, 420**) إنّ حلول الشيب بهمومه وضعفه جعل الشاعر الجاهلي يحس بفقدان الزمن الذي كان محببًا الى نفسه, لأنه يتيح له حرية التمتع بالحياة إلى المدى البعيد, ويبدو أن الشاعر الذي فارق شبابه وانتهاب لذاته قد شغله التفكير في الزمن المقبل.وإنّ حاجز الشيب جعل الشاعر يرى نفسه عاجزًا عن اصطناع الأمجاد والارتواء, بالذات وعلى خلافِ ذلك نراه في مشيبه وكبره قد خيم عليه هاجس اليأس من المستقبل, واضحت تنتابه صور مليئة بمشاهد الضعف والعجز (ينظر: زيتوني :2001م, 425-426).

إنّ " تحسّر الشيوخ على أيام الشباب في محاولة للتعويض عن آلامهم التي يلاقونها في شيبهم, ويذكرون تلك الأيام والفرحة التي تملأ عيونهم, والحسرة تظل تغلفهم, إنهم أمام عجز الشيب لا يجدون ملجأ إلاّ الأيام الخالية أيام الشباب " (**الخشروم: 1982م: 662**). إذ إن الخوف من الشيب, إنما هو في جوهره تعبير عن إحساس الانسان بأنه لم يستطع أن يحيا بحياة متنقلة, ومن ثُمّ فإنه رّدة فعل يقوم بها ضمير المرء ضد العملية الذاتية التي يمارسها في نفسه (**ينظر: إبراهيم :د.ت , 781**).

ويحس الشاعر بالمرارة والحسرةِ على أيام الشباب, مما يولد الحزن الذي يشعره العجز اتجاه قوة الجسد وحيوية الشباب, **كقول عبيد بن الأَبرص:**

تلكَ عِرْســـــي غَضْبَي تُرِيدُ زِبالي ... أَلِبَيْـــــنٍ تُريـــــــدُ أمْ لِـــــدَلالِ

إنْ يَـــكُنْ طِبُّكِ الفراقُ فَـلَا أحْـــ ... ـفِلُ أنْ تُعْطِفي صُدُورّ الجِمـــالِ الـــدَّهْرِ

إنْ يَـــكُنْ طِبُّكِ الدَّلال فَـلَـــوْ فـــي ... سالِفِ الـــدَّهْر واللّيـــالي الخَـــوَالـــي

ذاكّ إذْ أنـــــتِ كالـمّهـــــاةِ وإذْ آ ... تِيـــك نَشّـــوّانٌ مُرخِـــيا أذْيـــالي

فَـــــدّعي مَطِّ حـــاجِبَيْك وعِـيشِي ... مَعّـــــنا بالـــــرجاءِ والتَّأمـــــالِ

زَعَمَتْ أنّنِـــــي كَبِرْتُ وأنّـــــي ... قَلَّ مالـــــي وضَنَّ عَنِّـــي المَوَالـــي

وَصَحا باطِلـــــي وأصْبَحْتُ شَيْخا ... لا يُـــــوَاتي أمْثالَهـــا أمثالـــــي

أنْ رأتْنِـــي تَغَيَّـــرَ اللّوْنُ مِنّي ... وَعَـــلا الشَّيْـــبُ مَفْرِقـي وَقذَالـــي

فـــارْفَضي العـاذِلينّ واقْنَيْ حَياءً ... لا يَـــكُونُوا عَلَيْـــكِ خَـــطّ مِثالِ

وَبِحـــظّ مِمَّـــا نَعـــيشُ فَلا تَذْ ... هَـبْ بِـــكِ الـــتَّرَّهاتُ فـــي الأهْوالِ

منـــــهـــمُ مُمْسِكٌ , ومنهمْ عَدِيمٌ ... وَبـــخِيـــلٌ عَلَيْـــكِ فـــي بُخّالِ

وَاتْرُكـــــي صِـرْمَة على آلِ زَيدِ ... بـــالقُطّـــــيْبـــات كُـــنَّ أو أوْرالِ

لـــــمْ تكُـــنْ غَزْوَةٌ الجِيادِ ولمْ يُنْـ ... ـقّـــبْ بـــآثارِها صُـــدُورُ النّعـــالِ

دَرَّ دَرَّ الشَّبـــابِ والـــشَّعَرِ الأسْـ ... ـوَدِ والـــرّاتِكـــاتِ تـــحتّ الرّحالِ

(عبيد بن الابرص: 1994م:96-98).

يفتتح الشاعر نصه الشعري ببيتين يعودان لأسباب ابتعاد زوجته عنه مشيرًا لتلك الأسباب في قوله (كبرتُ , وأصبحت كهلًا, تغير اللون, علا الشيب), فيتعاظم الشعور بالحزن, فيولد توارد الصور الذهنية التي يشكلها العقل ولا سيما صور الكبر وتغير اللون, فيكون التذكر وسيلة من وسائل الشاعر للعودة الى أيام الشباب, من أجل تخفيف حزنه ومواساة نفسه, فالشيب سبب القطيعة بين الشاعر وزوجته محاولة للتخفيف عن حزنه وآلمه, والتعويض عن ضعفه من حالة الحزن والألم التي يعيشها فلم يكن أمامه إلاّ ذكريات جميلة تتداعى في صور

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

مختلفة.وتزداد حالة الحزن مع صور التداعي, لا سيما إذا كان الشاعر يعيش صراعًا بسبب الشيب الذي يقف عائقًا بينه وبين الحياة, التي كان يمارس لذته فيها, **كقول المزرد بن ضرار الذُّبياني:**

صَحَا القلبُ عن سَلْمَى ومَلَّ العَوَاذِلُ ... ومـــــا كادَ لَأْيـــــًا حُبُّ سَلْمَى يُزَايِلُ

فَؤاديَ حتّـــــــى طارَ غَيُّ شَبِيبَتِي ... حتَّـــــى عَلَا وَخْطَ مِنْ الشَّيـــــبِ شامِلُ

يُـــــــقَنِّئُهُ مـــاءُ اليُرَنّا تحتَهُ ... شَـــكِيرٌ كأَطْرَافِ الـــــــــثَّغَامَةِ ناصِلُ

فـــلا مَرْحبًا بالشَّيـــب مِن وَفْد زَائرٍ ... متَـــــــى لا تُحْجَبْ علـــــيه المَدَاخِلُ

وَسقّيـــــًا لِريْـــعَانِ الشَّبابِ فإنهُ ... أَخُـــــــــــو ثِقَةٍ في الدَّهْرِ إذْ أَنا جاهِلُ

إذا ألْهُـو بسَلْمَى وهْـــيَ لَذّ حَديثُها ... لَطالِبَـــــــــها مسؤُولُ خَيْـــــرٍ فبَاذِلُ

وبَيـــــضاءٌ فيـــها لِلّمخالِمِ صَبْوَةٌ ... ولَـــــــــهْوٌ لَمنْ يَرْنُو إلى اللّهْوِ شاغِلٌ

لَيَـــــالِيَ إذْ تُصْبِي الحليـــمَ بِدَلِّهاَ ... ومَشْـــــيٍ خَرِدلِ الرَّجْعِ فيـــهِ تَفَاتُـــــلُ

(الذبياني, د.ت 93-94).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يُشير الشاعر إلى قوة فاعلية الشيب في خلخلة العلاقة مع(سلمى), في قولهِ (حتّى طارفي شبيبتي, حنى علا خط الشيب شامل), ثم يميل الى التشخيص فقد جعل الشاعر الشيب ضيفًا ثقيلًا ومكروهًا, وذلك في قوله (لا مرحبًا بالشيب من وفد زائرٍ), والشيب ينتصر على نفس الشاعر المحزونة, وذلك بسبب انفصال العلاقة مع سلمى في قولهِ (متى يأت لا تُنحجب عليه المداخلُ), فالشيب هو الباعث الأساس لتجربة الشاعر الحزينة, وكان سببًا في تحوّل علاقة الحب مع محبوبته سلمى, مما أدى الى تداعي صورة اللهو والاستمطار, إذ أن "العمليات النفسية التي يثيرها التداعي تُعتبر ذوات نظم ودلالات قد يتوضح في تلك الدلالات الاستدعاء المعرفي لسياق النص" (علي, 2003 :29). وقد أدى هذا الاستدعاء الى ارتداد الشاعر الى الماضي من خلال دلالة السقيا في قوله (وسقيا الريعان الشباب), من اجل استحضار الحياة الجميلة التي حولها هاجس الشيب الى ضعف وألم بعد أن كانت قائمة على اللهو واللذات التي أشار اليها من خلال الصور الجمالية وعليه يمكننا القول:إن الباعث الأساس لتداعي صور الشيب واللهو والسقيا هو القطيعة مع محبوبته سلمى, التي تعني القطيعة مع الحياة, لا سيما "أن سلمى تُعد في الشعر الجاهلي رمزًا للحب العذري والعفة, إذ يتغنى باسمها الفتيان ويتعلق بها الشيوخ الكبار فتتهافت ناظرة إلى ذلك الشعر الأبيض"(ينظر:عبد الرحمن : 1976:,150).ويأخذ الشاعر بالحديث عن تجربته مع هاجس الشيب, إذ يصف كآبة أرذل العمر, **وهذا ما نجده في قول الأسود بن يعفر:**

كـــأنما يـــــومَي حَولٌ إذْا لـــــم أشـــــــهَدِ اللّهو ولم ألعبِ

وفَهْـــوةٍ صـــهباءَ باكرتُـــها بـــــــجُهْمةٍ والـــــــديكُ لم ينْعَبِ

وطامـــــحٍ الرأس طويـــلِ العمى يـــــــــــذهبُ جَهـــْلا كلما مذَهْبِ

كـــــويته حـــين عـــدا طورّه فـــــي الـــــرأس منـــهُ كيَّة المـــكلب

وَغـــــــارةٍ شعـــواءَ ناصبتُها بســـــــابحٍ ذي حُـــــــضُرٍ مُلـهْبِ

تـــــــراهُ بالـــــفارسِ من بعدما نكّـــــسَ ذو الـــــــلأمةٍ كـــالأنكبِ

وصَـــاحِبٍ نّبْـــهتُهُ مَـــــوْهنا ليـــــسّ [بآنـــاح] ولا جـــأنـــب

أروع بُـــــهلولِ خـــميص الحشا كـــالنّصل مـــــا تـــركبْ بـــه يرُكب

فقـــــامّ وســـــنانّ الـــى رحلّهِ وجَســـــرْةٍ دّوســـــرةٍ دّعْـــــــلِب

ومَـــــــــربًا كـــالزجِ أشرفَته والـــــــشمسُ قـــــد كادت ولم تغَرُبِ

تلّـــــفني الريـــــحُ على رأسهِ كـــــــــأنني صَقّرٌ على مـــــرْقبِ

(الأسود بن يعفر: د.ت: 21-22).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يفتتح الشاعر النص الشعري بالبكاء وهو مدعاة الحزن في النفس على أيام الشباب الذي انقضى, والبكاء على (الاشيب البائس , مهلكة , فارقته, البلى), إذ يأخذ التداعي الى تسلسل اغوار النفس فترتسم صور الحزن لمفارقة الشباب وما كان يرتبط بهِ من لهو ولذات وحيوية, ويتخذ الشاعر من عودة الشباب امنية يرجو تحقيقها, إلا أنه يُدرك استحالة عودة شبابه, وذلك في قوله (ليت شبابي ذاك لم يذهب), إذ إن هذا الارتباط بين البكاء وذكر الشيب وتمني العودة الى الشباب, يعود الى اختلاف التجارب الإنسانية والاتجاهات العقلية والفكرية والتخيلية, ومن ثم يعتمد على المقدرة العقلية, في تحويل تلك التجارب الى الاعمال الإبداعية التي تعود الى تداعي المعاني والصور. ويستمر الشاعر بعرض الصور وفقًا لما يحققه من التخلص من حالة الحزن والاسى, فلا ينسى المه الا العودة الى تجارب الماضي وحيوية الشباب, فكان وصفه للخمرة نوعاً من الشعور بالإيجاب لتجديد الحياة, وذلك في قوله (بقهوة , صهباء, باكرتها), ثم ينتقل الى صورة أخرى, وهي الغارة على الأعداء, والعدو السريع, والشجاعة والقدرة العالية في القتال, وذلك في قولهِ: (وغارة, شعواء, ناصيتها, بسابح ذي خُضُر ملهبِ), فضلا عن الربيئة التي يراقبها بحذر ودقة في مكان شديد الوحشة, وعليه فإن مداهمة الشيب كانت باعثًا نفسيًا لتداعي الصور التي ارتبطت بها الخمرة , فهي محاولة منه لتجديد الحياة واشراقها.

التداعي في صور الموت:

غدا الموت مشكلة في عقلية الشاعر الجاهلي, لا سيما "حينما يشعر الإنسان شعوراً قويًا واضحًا بهذا الإشكال, وحينما يحيا هذا الإشكال في نفسه بطريقة عميقة ينظر الى الموت كما هو ومن حيث إشكاليته هذه, ويحاول أن ينفذ الى سره العميق ومعناه الدقيق من حيث ذاته المستقلة وهذا كله يقتضي أشياء من الناحية الذاتية, وأخرى من الناحية الموضوعية " (بدوي: 1945 ,7).إن فقدان الشاعر للاحس اس بغائية الوجود, جعل القلق والخوف من الزمن يسيطران على وعيه بدرجة كبيرة، لا سيما أنه يدرك موته وبقاء الوجود مستمرًا بعده, **كقول الممزق العبدي:**

هــلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ من وَاقِ ... أَمْ هَـــــــل لهُ من حِمَامِ الموتِ من رَاقِ

قــدر رَجَّلُونِيَ وَما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ ... وألْبـــــسُونِي ثِيَـــــابًا غَيْرَ أَخْلَاقِ

ورَفَعُـــــونِي وقالو أَيُّمَا رَجُلٍ ... وأَدْرَجُـــــــــونِي كأَنِّي طَيُّ مِخْرَاق

وأَرْسَـــــلُوا فِتية من خَيْرِهِمْ حَسَبًا ... لِيـــــــــسْنِدُوا في ضريحِ التَّرْاب أَطْبَاقِي

هَـــــــوِّنْ عَليكَ وَلا تَوْلَعْ بإشْفَاقِ ... فـــــــــــإنّما مالُنا لِلّـــــوَارِثِ الباقِي

كأَنّني قــد رَمانِي الدهر عن عُرُضٍ ... بِنَـــــــــافِذاتٍ بِـــــلَا رِيشٍ وأَفْواقِ

(المفضليات،د.ت : 300).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يتصاعد الشعور بالحزن لنهاية حياة الشاعر من خلال وقوفه مستفهمًا حائرًا يبحث عما يقيه أو يبعده عن الموت, وقد تضمن استفهامه معنى النفي أي لا شيء يقيه من الموت. ومع تصاعد هذا الشعور الحزين يتحفز التداعي, لارتباطه بالصورة التي يريد الشاعر إبرازها وتأكيدها ليصف موته وتكفينه, وأنه مهما أتخذ من الوسائل التي تخلده فإنّ الفناء مصيره, وذلك في قوله: (فإنّما مالُنا للوارث الباقي), للدلالة على أن الإنسان يفنى , ويبقى الوجود بعده مستمرًا وفي قولهِ (البسوني ثيابًا غير اخلاق, أدرجوني كأني طيّ مخراق) إشارة الى صورة حزينة يخضع فيها الإنسان للموت فيتبدل ملبسه ومسكنه, ويعتمد التداعي النفسي على ما أثاره الموت في النفس من إحساس بالحزن والضعف, لا سيما في الأفعال الماضية (رجلّوني , رفعوني, أدرجوني , أرسلوني) فقد عكست نوعًا من حركة النفس وهي تتجهز للموت, وينتهي ذلك التداعي الى العبرة العظة التي امتزجت مع الحركة النفسية الحزينة لتبيّن أن الدهر لا يبقى للإنسان من ماله أوكده شيئًا, وانما كلّ شيء نحو

الفناء.وقد يتخذ الشاعر الجاهلي من احداث الأمم الغابرة وسيلة لتوارد أفكاره الفلسفية ونظراته التأملية تجاه الموت, **كقول قس بن ساعدة:**

فِـــــــي الذاهبين الاوّلِـيـ ـن مَـــــــنْ القِـرون لَنا بـصائر
لَما رأيـــــــــت مـواردًا للمـــــــــوت لـــيس لَها مصادر
ورأيـــــتُ قَومي نحـوها يمضـــــــــي لأصـاغِر والأكابر
لا يـــــــرجع الماضي إليَّ وَلا مـــــــن الباقيـــــــن غابر
أَيـــــــــقنتُ أنّي لا مَحـا لة حيـــث صارَ القـــوم صائر (قس بن ساعدة : 1974م: 273-274).

يُعد (الموت) الباعث الأساس في توارد المعاني التي ذكرها قس من خلال تأمله لما حلّ بالقرون السابقة, فيغدو التداعي مسيطرًا على الفكر لإبراز الصورة الحزينة التي اعتمدت على العلاقة بين الماضي والنظرة الى الحاضر والمستقبل, إذ إن الموت لا يقبل الفدية ولا يستثني احدًا, فلا يبقى للإنسان أمل في الحياة, وهذا ما يثير احزانه وآلامه, ويرى الأمم السابقة والقبائل التي تفنى, وكل شيء يراه من مظاهر اللهو والنعمة, يتحول الى بلى ونفاد, وقد كرر الشاعر الفعل (رأيتُ), للدلالة على أن التداعي مرتبط بتأمل النفس لما حلّ بواقعها ثم تكرار أفعال النفي في بنية لغوية اعتمدت على العطف في قوله (لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر), ويختم الشاعر نصه بالتيقن من عدم الوجود الذي يُرافقه الأسى على ما يحلّ به, ولا يجد وسيلة ولا سبيل الى منع وقوعه, في قولهِ (أيقنتُ), وعليه فإنّ التداعي ارتبط برؤية فكرية صاغها الشاعر بصياغة فلسفية وعرض من خلالها صورة حزينة لما سيحلّ بالإنسان, وأنه لا سبيل الى الخلود.وقد يقدم الشاعر نصه الشعري معتمدًا على التداعي النفسي لتجسيد تجربة معينة, ولا سيما بتجارب الفقد, كرثاء أوس بن حجر لأخيه فضاله, إذ يقول:

أيتَّـــــــها النّفسُ أجْمِلِي جَزَعَا إنّ الّـــــذي تَحذَريـــــــنَ قد وَقعَا
إنّ الّــذي جَمّعَ السّماحَـــة والنّـ ـجْدَةَ والحَـــــزْمَ والـــــقُوَى جُمَعَا
الألْمَـــــــعِيَّ الذّي يَظُنَّ لـكَ الظّـ ـنَّ كَـــــأنْ قَدْ رَأى وَقَدْ سَمِـــــعا
والـــــــمُخلِفَ المُتلِفَ المُرَزّأَ لمْ يُـــــــمْتَعْ بِضَـــعْفٍ ولمْ يمُتْ طَبَعَا
والـــــحافِظَ النّاسَ في تَحوطَ إذا لم يُـــــــرْسِلو تَحْتَ عائِدٍ رُبَعـــَا

وازْدَحَمتْ حَـــلْقَتَا البِطَــانِ بأقْـ وَامٍ وَطـــــــارَتْ نُفُوسُهُمْ جَزَعَا

وَعَـــــزّتِ الشّمْالُ الرّياحَ وَقَدْ أمْسَـــــــــــــى كَميعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعًا

وشُبّهَ الهَيْــدَبُ العَبَامُ مـــن الـْ أقْوَامِ سَقّيـــــًا مُلَبسَّ◌ًا فـــــــرَعًا

وكانَـــــــتِ الكَاعِبُ المُمنّعَة الـْ حَـــــــــسنّاءُ فــي زَاد أهْلها سَبعُاَ

أوْدَى وهـــــل تنَفَعُ الإشاحة من شَيْء لَمنْ قَدْ يُـــــــــــحاوِل البِدَعَا

لِيَبْكِك الشّربُ والمُـــــدامَة وَالـ فِتْيـــــــــــانُ طَــرأ وطَامعٌ طَمِعَ

وَذَاتُ هِدْامٍ عَارٍ نَوَاشـــــــــرُهَا تُصْـــــــــــــمِتُ بالمَاءِ تَوْلَبًا جَدِعَا

والحَيُّ إذْ حاذَرُوا الصّباحَ وَقَــدْ خافـــــوا مُغيرً وسائِرًا تَلـــــعَا (اوس بن حجر: 1979: 53-55).

يخاطب الشاعر نفسه ويطلب منها تحمل الجزع والحزن الشديد الذي أصابها, لوقوع ما كانت تخشى وقوعه, ألا وهو الموت والفقد,فغدا الشاعر يرثي وجوده مثلما يرثي الأخ,و تداعت الصور التي رسمها للمرثي, وقد شملت صفاته الحميدة من الشجاعة والقوة والذكاء والفطنة ورعاية اليتامى والأمل, ونصرة الضعيف وقت الشدائد. وانّ رثاء الشاعر لأخيه بمثابة رثاءه للقيم الإنسانية والاجتماعية , ونجدها في قوله (والمتحلق المتلف المُرزا لم يُتمتع بضعفٍ, ولم يمت طبعا), فالإتلاف صورة من الصور الاقتدار على الفعل, والعطاء والكرم وهذه من أبرز القيم في المجتمع الجاهلي, وبذا يصبح الخلود المعنوي وسيلة لقهر الموت

الخاتمة:

1- يعتمد التداعي على تعاقب الظواهر النفسية والعقلية وتوارد الافكار والبواعث النفسية في نفسية الشاعر.

2- ينقل التداعي الرغبات مكبوتة لايستطيع الشاعر البوح بها .

3- حقق الطلل استجابات نفسية نظرا لتداعي صور الخراب مما اثار الشعور بالحزن.

4- اهتم الشاعر الجاهلي بالوجود وكان الموت سبب ارقه الاساس فجاء التداعي من خلال صور القدر والفناء ولاسبيل للانتصار عليه .

5- اعتمد التداعي على صور الشيب واسترجاع ايام الباب لما تشير اليه من قوة وقدرة لتتيح للشاعر التغلب على شعور الحزن.

المصادر والمراجع:

- الانسان في الشعر الجاهلي, عبد الغني زيتوني, مركز زايد للتراث والتاريخ, ط1, 1421ه-2001م.
- ديوان الأسود بن يعفر, تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي, دار الثقافة والاعلام , سلسلة كتب التراث,د.ط.
- ديوان النابغة الذبياني, شرح وتقديم عباس عبد الستار, دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان, ط3, 1416ه-1996م.
- ديوان اوس بن حجر, تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم, بيروت, ط3, 1399ه-1979م.
- ديوان عبيد بن الابرص, شرحه, د. اشرف احمد, الناشر دار الكتاب العربي, ط1. 14140ه- 1994م.
- شرح ديوان امرؤ القيس, جمعة وقدم له وحققه ,د. حسين السندومي, وجمعه وشرحه , أسامة صلاح الدين , دار احياء العلوم , بيروت-لبنان, ط1, 1410ه-1990م.
- الصورة الفنية في المفضليات انماطها وموضوعاتها سماتها الفنية , د. زيد بن محمد بن غانم, ط1, 1425ه.
- الغربة في الشعر الجاهلي , عبد الرزاق الخشروم, منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 1982م.
- قس بن ساعدة, حياته وخطبه وشعرة, د. أحمد الربيعي, مطبعة النعمان- النجف الاشرف, 1974م.
- مشكلة الحياة, زكريا إبراهيم , دار مصر للطباعة والنشر, القاهرة, ط1.د.ت.
- المفضليات, تحقيق وشرح, أحمد محمد شاكر, د. عبد السلام محمد هارون, الناشر دار المعارف, كورنيش نيل, القاهرة ط6. د.ت
- الموت والعبقرية, عبد الرحمن بدوي, وكالة المطبوعات, دار القلم, بيروت, 1945م.

المجلات والدوريات:

- طاهر ،أمل حسن،الانساق الثقافية في صور شعرية متعددة شعر بشر بن ابي خازم انموذجا،لارك،3/15، 126، https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss50.3183

- طاهر ،أمل حسن ،تداعي الاحداث الايجابية،لارك129/14،4، https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss46.2381

- القراءة النفسية للنص الادبي , محمد علي, مجلة جامعة دمشق , العدد(1-2) السنة 2003م.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

Sources and references :

Man in Pre-Islamic Poetry, Abdul Ghani Zitouni, Zayed Center for Heritage and History, 1st edition, 1421 AH-2001 AD.

Diwan Al-Aswad Bin Yaafar, edited by Dr. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, House of Culture and Information, Heritage Book Series.

Diwan Al-Nabigha Al-Dhubyani, explained and presented by Abbas Abdel Sattar, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1416 AH - 1996 AD.

Diwan Aws bin Hajar, edited and explained by Dr. Muhammad Yusuf Najm, Beirut, 3rd edition, 1399 AH-1979 AD .

Diwan of Ubaid bin Al-Abras, explained by Dr. Ashraf Ahmad publisher, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1st edition. 14140 AH - 1994 AD .

Explanation of the Diwan of Imru' al-Qais, Jum'ah, which was presented and verified by Dr. Hussein Al-Sindoumi, its collection and explanation, Osama Salah Al-Din, Dar Ihya' Al-Ulum, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1410 AH - 1990 AD .

The artistic image in the favorites, its styles, themes, and artistic features, Dr. Zaid bin Muhammad bin Ghanem, 1st edition, 1425 AH.

Alienation in pre-Islamic poetry, Abdul Razzaq Al-Khashrum, Arab Writers Union Publications, Damascus, 1982 AD.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

Qass bin Sa'ida, his life, speeches and poetry, Dr. Ahmed Al-Rubaie, Al-Numan Press - Al-Najaf Al-Ashraf, 1974 AD .

The Problem of Life, Zakaria Ibrahim, Misr House for Printing and Publishing, Cairo, 1st edition.

Favorites, investigation and explanation, Ahmed Mohamed Shaker, Dr. Abdel Salam Muhammad Haroun, publisher Dar Al Maaref, Nile Corniche, Cairo, 6th edition. D.T .

Death and Genius, Abdul Rahman Badawi, Publications Agency, Dar Al-Qalam, Beirut, 1945 AD .

: **Magazines and periodicals**

Psychological reading of literary texts, Muhammad Ali, Damascus University Journal, Issue (1-2), 2003 AD .